

الأستاذ الشيخ أحمد حماني

1998-1915

تذكر و تكريم

الأستاذ الربيع ميمون

جامعة الجزائر

توفي الشيخ الإمام الأستاذ أحمد حماني يوم 29 جوان 1998 بعد حياة طويلة قضاهما كلها في طاعة الله وخدمة الجزائر كمناضل حكم الجيش الفرنسي عليه في حرب التحرير بالأعمال الشاقة لمدة 15 عاما وأستاذ بجامعة الجزائر و رئيس المجلس الإسلامي الأعلى و لجنة الفتوى، و علم من أعلام الجزائر والعالم الإسلامي في العلوم الشرعية.

و هي علوم له فيها عدة مؤلفات منها ما طبع وهي : "صراع بين السنة و البدعة" و "الفتاوى" و "الإحرام"، و منها ما ينتظر الطبع و هي كلها ذات قيمة جامعية عالية.

و لهذا فإن جامعة الجزائر التي درس بها عشر سنوات ترى في وفاته فقداناً لأستاذ من أساتذتها البارزين. ويشرفها أن تنشر في هذا العدد من حولياتها كلمة للأستاذ الربيع ميمون كتبها عنه تكريماً له و إشادة بما كان منه طوال حياته في سبيل الجزائر و جامعتها و دينها.

هكذا، و بعد حياة طويلة قضاهما كلها في طاعة الله و النضال من أجل الجزائر و دينها وأمتها توفي الشيخ سيدي أحمد حماني.

لقد فارقتنا يوم 29 جوان 1998 في وقت ما كنا فيه على استعداد لأن نراه يغيب عنا إلى الأبد، و في وقت كانت فيه بلاد الشهداء في أشد الحاجة إلى معارفه الدينية الواسعة و حكمته المتبصرة، و مواقفه في سبيل الدين و الوطن. إنه ليس مجرد عالم، و لكنه عالم الجزائر الألمعي و عالم عصره. و لهذا فال فراغ الذي تركه وراءه سيكون له أثره و سيكون أيضاً من الصعب سده لأنه كان، رحمه الله، و بمفرده، كلية من جهازة العلماء لا على مستوى الجزائر فحسب، و لكن على مستوى العالم الإسلامي كله.

لقد كان يعرف كتاب الله و سنة رسوله عليه السلام معرفة عميقة وافية. وكان يعرف العلوم التي نشأت عنهما عبر القرون، و يعرف الدراسات الشاملة التي قام بها كبار أئمة الشريعة في كل العصور و الأمصار ليتبينوا ما في هذا الدين العظيم من كنوز العلم والعمل المترتب عليه و ليصلوا إلى إدراك حقائقه بالاعتماد على معطيات نصوصه الصحيحة منطوقها و مفهومها، و على متطلبات الواقع

المتعدد الوجوه لمعرفة لم تكن لغيره في زماننا إلا نادرا في الجزائر والعالم الإسلامي. و لهذا فإنه لم يكن بعيدا عن مشاكل الناس و عما يجري في محيطهم، بل كان يهتم به بموهبة العالم الربانية ودرأته الصحيحة، و كان يعرف ما هي الطريق التي يجب سلوكها لتجنب العوائق و تبديد الظلمات، و العثور على باب الفتح و سبيل الخلاص الذي يجعل الإنسان في وئام مع نفسه وربه و مع الكون كله. لقد كان، رحمه الله، للجزائر منذ أن ولد إلى أن دعاه الله إلى جواره بلفطرة. و لقد ناضل من أجل تحريرها و من أجل لغتها و دينها بكفاءة عالية و إيمان كان كثيرا ما يجعله يرضى حتى بالاستشهاد في سبيلها.

إنه أبرز طلبية الشيخ الكبير الإمام عبد الحميد بن باديس و أقربهم إلى طريقته، و أجدرهم بتمثيله و النيابة عنه من بعده. و بالفعل فقد كان مثل أستاذه أستاذا ألمعيا، و سياسيا واعيا، و صحافيا تقدميا و مراسلا رياضيا، و مناصرا للحركة الفنية الوطنية و لحركة الكشافة الإسلامية، و مناضلا دائما لا يكل، ألقى الجيش الفرنسي القبض عليه في حرب التحرير و سجنه و حكم عليه بالأشغال الشاقة. و لقد كان أيضا عضوا بالنيابة في اللجنة المركزية لحزب جبهة التحرير و رئيسا للمجلس الإسلامي الأعلى و للجنة الفتوى بوزارة الشؤون الدينية، و واعظا بصيرا و باحثا مدققا و علما من أعلام الجزائر لا يمكننا إلا أن نشبهه بنفسه.

إنه لم يكن يعيش لنفسه و لكن للجزائر و قيمها العليا، و لم يكن يستجيب إلا لندائها في حركاته و سكناته، و لم يكن يسعى إلا ليرها تزداد، و باستمرار، عزا و عظمة بين دول العالم و أممه.

لقد كان متواضعا إلى أقصى الحدود، و كان يظهر لمن يقربونه أنه غائب أو شبه غائب حتى في الأمور التي لا يمكن أن تتم بدونه. و الحقيقة أنه لم يكن يغيب عما يعنيه، ولكنه كان يستغرق فيه ليدرسه من جهاته كلها، و يقول فيه الكلمة الفاصلة التي تطابق و الحق، و ترضي الله و الرسول و المؤمنين.

و لعله لأجل هذا كان يواجه المشاكل المعقدة التي كان مد أحداث هذا العالم و جزرها يطرحانها على أهل بلده، و على مسلمي عصره و على الإنسانية، بإيمان صار لديه معرفة تقتضي تطبيقها في الواقع، و بمعرفة صارت لديه إيمانا راسخا يصدق الفعل دائما و في كل الأحوال.

و لعله لأجل هذا أيضا كان يظهر على الشاشة الصغيرة من حين لآخر بهدوء واتزان، وباقتناع وثبات ليشرح لمن يستمعون إليه، وهم كثيرون، حقائق الدين. وليبعدهم عن الانحرافات التي لا تغفر مهما كانت المبررات التي يقدمها لها أصحابها.

لقد كان يقول للناس بكل بساطة، و باللغة الدقيقة الواضحة التي تميز العارفين، وبدون ادعاءات و لا تشدق و لا بلاغة زائدة محفوظة و لا طيلسان، و لا أبهة، كلمة الله وتعاليم الدين السامية التي كان يعرفها على حقيقتها و يؤمن بها، و التي جاهد تحت رايتها طوال حياته. لقد كنت أراه وهو "بقندورته" الجزائرية و برنسه وشابشه الذي كان يلويه على رأسه مثل أستاذه ابن باديس، فأرى فيه أصالة العالم بالحقيقة. و لقد كنت أستمع إليه و هو يتحدث معي بتلك اللغة العالية التي تبدو على كلماتها وجمالها وتراكيبها وأسلوبها آثار تلك المروءة العلمية التي تميز كبار علماء الجزائر في كل عصر، فيخيل إلي أنني أمام آخر علماء الجزائر الكبار، و أمام العالم الذي يحمل أحسن من غيره في عصرنا و في بلادنا عبء العلوم الشرعية، و عبء التراث الذي تركه كبار علمائنا في الشريعة عبر العصور. وهم علماء محال الجهل و التجاهل، و النسيان و التناسي، و الغياب و التغيب، كل أثر في ذاكرتنا مع أن لهم مآثر عالية يمتازون بها عن سواهم من علماء الدنيا، ومعالي لم يبلغ قممها الشامخة غيرهم. إننا لا زلنا نجهل هذا و لا نتبينه على حقيقته كما نجهل تاريخنا و لا نتبينه على حقيقته، و ما من حقنا.

إن الشيخ أحمد حماني، أخي وأستاذاي، هو من كبار علمائنا، ومن أعلام بلادنا والعالم الإسلامي في العلوم الشرعية. وهو منهم، وبكل استحقاق، عند العارفين. ولو لا ذلك لما استطاع أن يبرز، و لا أن يتفوق، ولما استطاع أن يحيط بتراث علماء الأمة وأن يثريه وأن يربط صلاته بمن تقدم منهم ومن تأخر، ابتداء من أستاذه العظيم الشيخ الألمعي الإمام عبد الحميد بن باديس الذي كان يعيش للجزائر لأنه كان يعيش الإنسانية، وكان يعيش الإنسانية لأنه كان يعيش للجزائر، ومن أستاذه إلى مشايخه الجزائريين و التونسيين ومن هؤلاء إلى علماء الشريعة في المغرب العربي، ومنهم إلى الإمام سحنون رضي الله عنه وإلى الإمام ابن القاسم ومالك رضي الله عنهما، ومنهما إلى التابعين والصحابه رضوان الله عليهم ومن هؤلاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. ولقد برهن على ذلك طوال حياته لا بوظيفته ومنصبه ولكن بعلمه وعلمه. فالإسلام الحي الذي أوحى الله به إلى نبيينا عليه الصلاة والسلام هو الذي كان يعنيه. ولأجل هذا فإنه كان لللسنة الصحيحة ضد

البدعة المنحرفة، وللتقدم والرفقي ضد كل أنواع التخلف والانحطاط وضد ما آلت إليه الجماعات الإسلامية في الشرق والمغرب من ذل ومهانة، ومن إغراض عن الحاضر وما يجري فيه والتفات إلى ماض هو لديها غير بين المعالم، ومن إيمان بالدروشة ومثاهاتها، ورضي بالأمر الواقع عن تواكل واستسلام ومن جهل مطبق جعلها لا تعي أن الحياة جهاد وان لا جهاد إلا بالعلم.

لقد قرأت باهتمام كبير مؤلفاته "صراع بين السنة والبدعة" و"الفتاوى" و"الإحرام" واستفدت كثيرا منها، وإنني لأنتظر بفارغ صبر كتبه الأخرى ليستفيد منها الناس ولأستمر في حوار معي من خلالها، أنا الذي أحب أن أحاور كبار علماء الجزائر والإسلام والإنسانية، أيا كانوا، ومهما كانت عصورهم وأصهارهم لأن لكل منهم حكمته وعطاياه.

إن الشيخ أحمد حماني هو في بلدنا وفي عصرنا، من كبار حكماء هذه الدنيا، وهو الآن ومنذ أن فارقنا إلى الأبد في جوار ربه جل وعلا، مع رسول الله وأنبيائه عليه وعليهم الصلاة والسلام ومع علماء الإسلام الذين توالوا عبر العصور ومع جماعات المؤمنين من كل الأجناس والأديان، ومن الأزمنة والأمكنة. ومع هذا فإن غيابه عنا هو بالنسبة إلينا كحضوره معنا. لقد كانت حياته التي نسجت مبراته بخيوط من ذهب مسيرة طويلة في سبيل الجزائر والإسلام وقيمه العليا. وستكون وستبقى بالنسبة إلينا وإلى كل من يأتي بعدنا خطابا دائما يدعونا ويدعوهم إلى الإقبال على ما فيه لفهمه وحل رموزه وإدراك غاياته. وبالفعل فالشيخ سيدي أحمد حماني أخي وأستاذي هو من رجال الله الذين يبقون أحياء بالنسبة لمن عاشوا معهم، ولمن يأتون بعدهم حتى ولو غيبتهم الموت عنهم. ولهذا فإننا ونحن نحي ذكرى وفاته، ونشيد بما كان منه للجزائر الغالية ولإسلام القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وللعلوم الشرعية الإسلامية، لا نقوم إلا بتحويل غيبته عنا إلى حضور دائم بيننا ولا نقوم إلا بتكريم الرجل الألمعي الذي كان يعيش معنا فوق هذه الأرض ولا نقوم في النهاية إلا بالاستجابة لنداء واجب الأمانة نحو القيم العالية التي جاهد من أجلها طوال حياته وهي القيم التي ما فتئ علماؤنا الكبار يدعوننا إليها ويجتهدون في تعليمنا إياها، عبر العصور لنعرف بصفة نهائية نحن أبناء هذا البلد العظيم أن العلم الذي يقوم على الأسس الصحيحة هو الذي يستطيع وحده دون غيره، أن يعين الإنسان على التقدم والرفق وعلى حل المشاكل التي يمكن أن تعترضه في حياته الفردية أو الاجتماعية بكيفية مرضية مهما كان نوعها، وأن

الجهل هو الطامة الكبرى مهما كان نوعه، وكانت درجته، إن عاجلا، و إن من بعد حين...

الربيع ميمون
أستاذ بجامعة الجزائر

